@ 363 @ يفترون) ^ يقول تعالى : ^ (ويوم نحشرهم جميعا) ^ أي : نجمع جميع الخلائق ، لميعاد يوم معلوم ، ونحضر المشركين ، وما كانوا يعبدون من دون ا . ^ (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم) ^ أي : الزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل بينكم وبينهم . ^ (فزيلنا بينهم) ^ أي : فرقنا بينهم ، بالبعد البدني والقلبي ، فحصلت بينهم العداوة الشديدة ، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا ، خالص المحبة ، وصفو الوداد ، فانقلبت تلك المحبة والولاية ، بغضا وعداوة . ^ (وقال شركاؤهم) ^ متبرئين منهم : ^ (ما كنتم إيانا تعبدون) ^ فإننا ننزه ا أن يكون له شريك ، أو نديد . ^ (فكفى با شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين) ^ ، ما أمرناكم بها ، ولا دعوناكم لذلك ، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك ، وهو الشيطان ، كما قال تعالى : ^ (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) ! 2 2 ! (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) ^ . فالملائكة الكرام ، والأنبياء ، والأولياء ونحوهم : يتبرأون ممن عبدهم يوم القيامة ويتنصلون من دعائهم إياهم إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك . فحينئذ يتحسر المشركون حسرة ، لا يمكن وصفها ، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال ، وما أسلفوا من رديء الخصال ، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين ، وأنهم مفترون على ا ، قد ضلت عبادتهم ، واضمحلت معبوداتهم ، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل . ولهذا قال : ^ (هنالك) ^ أي : في ذلك اليوم ^ (تبلو كل نفس ما أسلفت) ^ أي : تتفقد أعمالها وكسبها ، وتتبعه بالجزاء ، وتجازى بحسبه ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . ^ (وردوا إلى ا مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون) ^ من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك ، وأن ما يعبدون من دون ا ، تنفعهم وتدفع عنهم العذاب . ^ (قل من يرزقكم من السمآء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون ا فقل أفلا تتقون * فذلكم ا ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون * كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) ^ أي : قل لهؤلاء الذين أشركوا با ، ما لم ينزل به سلطانا محتجا عليهم بما أقروا به ، من توحيد الربوبية ، على ما أنكروه من توحيد الألوهية ^ (قل من يرزقكم من السماء والأرض) ^ بإنزال الأرزاق من السماء ، وإخراج أنواعها من الأرض ، وتيسير أسبابها فيها ؟ ^ (أم من يملك السمع والأبصار) ^ أي : من هو الذي خلقهما وهو مالكهما ؟ وخصهما بالذكر ، من باب

التنبيه على المفضول بالفاضل ، ولكمال شرفهما ونفعهما . ^ (ومن يخرج الحي من الميت) ^ كإخراج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والنوى ، وإخراج المؤمن من الكافر ، والطائر من البيضة ، ونحو ذلك . ^ (ويخرج الميت من الحي) ^ عكس هذه المذكورات . ^ (ومن يدبر الأمر) ^ في العالم العلوي والسفلي ، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية ، فإنك إذا سألتهم عن ذلك ^ (فسيقولون ا) ^ لأنهم يعترفون بجميع ذلك ، وأن ا لا شريك له في شيء من المذكورات . ^ (فقل) ^ لهم إلزاما بالحجة ^ (أفلا تتقون) ^ ا فتخلصون له العبادة ، وحده لا شريك له ، وتخلعون ما تعبدونه من دونه من الأنداد والأوثان . ^ (فذلكم) ^ الذي وصف نفسه بما وصفها به ^ (ا ربكم) ^ أي : المألوه المعبود المحمود ، المربي جميع الخلق بالنعم وهو : ^ (الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال) ^ . فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء ، الذي ما بالعباد من نعمة ، إلا منه ، ولا يأتي بالحسنات إلا هو ، ولا يدفع اليسئات إلا هو ، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام . ^ (فأنى تصرفون) ^ عن عبادة من هذا وصفه ، إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم ، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة ولا نشورا . فليس له من الملك مثقال ذرة ، ولا شركة له بوجه من الوجوه ، ولا يشفع عند ا إلا بإذنه . فتبا لمن أشرك به ، وويحا لمن كفر به ، لقد عدموا عقولهم بعد أن عدموا أديانهم ، بل فقدوا دنياهم وأخراهم . ولهذا قال تعالى عنهم : ^ (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) ^ بعد أن أراهم ا من الآيات البينات والبراهين النيرات ما فيه عبرة لأولي الألباب ، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين .